أ . د . حميدي أبوبكر الصديق

السنة الثانية ماستر

التخصص : تاريخ الجزائر الحديث :
مقياس تاريخ الجزائر الثقافي

التواصل الحضاري بين الجزائر ومحيطها العربي والإسلامي

مقدمة : كان التواصل بين الجزائر ومحيطها العربي والإسلامي قائما على عدة أصعدة وبطرق مختلفة بين النخبة الجزائرية المتعلمة سواء كانوا طلبة علم أو علماء فكانوا هم الحلقة القوية التي تربط الجزائر بهذا المحيط الذي يعتبر عمقها الديني واللغوي والاجتماعي وكانت هذه العلاقة قد نسجت رصيدا ثقافيا مشتركا أخذا وعطاء عبر الأجيال مما شكل تراكم ثقافيا تأثيرا وتأثرا يختلف من مرحلة إلى أخرى ومن مظاهر هذا التواصل ما يلي:

أو لا الإجازات العلمية :حيث كثر ت الإجازات العلمية في هذه المرحلة بين علماء المغرب والجزائر وتونس ومن أمثلة إجازاتالجزائريين لغير هم إجازة احمد المقري في فاس للعالم المغربي محمد بن القاسم ابن القاضي والذي أذن له برواية كل ما كتبة من شعر ونثر وكذلك إجازة تاج العارفين التونسي من قبل المقري وكذلك إجازة المنقلاتي لابن زاكور و هو مغربي كما وجدت إجازات جزائريةلتونسيين و إن كانت قليلة مثل إجازة ابن عمار لمحمد بيرم و إجازة ابن عمار لتلميذة إبراهيم السيالي التونسي كما أجاز المغاربة الكثير من الجزائريين كإجازة البنان لابني حمادوش أما بالنسبة للمشرق العربي فكان التواصل والإجازاتكثير ة وان كان الذي حفظتة لنا كتب التاريخ والوثائق قليلا جدا ، ومن ذلك ما أجازة المشارقة لبعض الجزائريين مثل الشيخ الحسين الورتيلاني وبوأ راس الناصر وغير هم ولا ننسى أن هذه الإجازات كانت كثير ة أيضا داخل البلاد أي بين أهل العلم ذاتهمو الطلبة داخل الجزائر.

ثانيا المناظرات والمجالس العلمية : وخاصة في العقائد والفقه ومناقشة المسائل الدينيةوخير من سجل ذلك ابوراس الناصر ومما ذكر ه في هذا الميدان " واجتمعت مع العلماء بجامعه الأعظم فتذاكرنا وتناظرنا وترافعنا وتقايضنا في جميع الفنون الدقيقة والمسائل الخفية " واعتقد أنة يقصد جامع الزيتونة.

ثالثا الرسائل الإخوانية : و هذه الرسائل كانت بين شيخ الطريقة ومريديه أو بين مريدي الطريقةالواحدة و أحيانا كانت رسائل بين أهل العلم أو بين العلماء وتلاميذهم كنوع من الوفاء والتواصل.

وكانت فنا وطريقة لبقاء الصلة والتواصل والوفاء بين أبناء الطريقة الواحدة مثل :

- رسالة ابن أبي بكر السوسي إلىالمقر ي وهيعبار ة عن أسئلة فقهية.
- ورسالة المنجلاتي إلى المقري يقرض فيها كتاب ازهار الرياض.
- ورسالة الفكون. صاحب منشور الهداية لشيخ العارفين بتونس
- ونجد أيضا رسائل ابن حمادوش مع علماء بلده وعلماء المغرب ومن ذلك رسالته إلى البوني

رابعا الرحلات العلمية : وهذهالرحلات كانت كثير ة جدا سواء نحو المغرب الأقصى حاليا أو نحو تونس أو نحو المشرق العربي فبالنسبة إلى الرحلات نحو المغرب وتونس كانت كثير ة ومتواصلة وكان دائما طلبة العلم يشدون الرحال نحو القرويين وخاصة من أبناء الغرب الجزائري والكثير منهم من نبغ وعاد إلى الجزائر أو منهم من استقر هناك.

أما بالنسبة لأبناء الشرق الجزائري فكانت تونس هي وجهتهم للجامع الأعظم الحاضر ة العلمية المقصودة على مر القرون سواء في العهد العثماني أو الفرنسي وعدوا بالمئات في المرحلة الواحدة ـ فكانت حاضر ة الزيتونة الظهير العلمي الذي استزاد منة الجزائريون .أما بالنسبة إلى المشرق العربي فكانت هذهالرحلات كثير ة سواء نحو الأ هر أو الحرمين الشريفين أو بيت المقدس ومنه أيضا إلى الشام وقد رصدت كتب التاريخ مئات العلماء وطلبة العلم الذين قصدوا هذه الديار والحواضر العلمية فاستزادوا منها ونبغ الكثير من أهل العلم وصار لهم مقاما عاليا في هذه

الديار ومنهم من استقر ومنهم من عاد إلى الجزائر ، وقد رصد الدكتور عمار هلال رحمه الله في كتبة الكثير من هذه الحركية العلمية الجزائرية في المشرق العربي.

خامسا: رحلات الحج هذهالرحلات كانت كثير ة من الجزائر إلى بلاد الحرمين وباعتبار هاشعير ة دينية فإن العلماء كانوا المتصدرين لهذه الرحلات ومن خلال محطاتهم المختلفة في طريقهم إلى الحرمين كانت لهم اتصالات كثير ة مع أهل العلم وفي الحواضر العلمية ابتداء من تونس إلى ليبيا ومصر وبلاد الحرمين ومنهم من يعرج إلى بيت المقدس .وكان السائد في هذه المرحلة أن يقال : حاجا ومقدسا أي أنه زار الحرمين الشريفين وثالث القبلتين ـ القدس الشريف ـ وفي خلال هذه الرحلات كانت لهم الكثير من الجلسات والحوارات وحضور مجالس العلم إفادة واستفادة في الطريق وفي الحرمين ومن خلالها تم نسج الكثير من العلاقات والتواصل مع أبناء الأمة العربية والإسلامية التي كانت تؤم الحرمين الشريفين في مواسم الحج فكانت بمثابة مؤتمرات وندوات بين أهل العلم على هامش آداء مناسك الحج أو بعد الانتهاء منه وخاصة إذا علمنا أن هذه الرحلات الحجية قد تدوم سنة أو أكثر ومنهم من يبقى لسنوات بعد آداء مناسك الحج ومن الذين سجلوا هذه الرحلات : العياشي ، والمقر ي والزياني ،وغير هم ويعتبر سجل الرحلات العلمية والحجية حافلا بتفاصيل ومظاهر التواصل بين الجزائر ومحيطها العربي والإسلامي من خلال اللقاءات والاستفادات العلمية ونقل الأخبار وخاصة أوضاع العالم العربي والإسلامي وتداولها بين أهل العلم كإهتمام مشترك فضلا عن وصف ونقل الكثير من تفاصيل والمظاهر الثقافية والاجتماعية والسياسية وقد كانت ثقافةالترحال جزءا لا يتجز أ من تقاليد تلك المرحلة لإكمال طالب العلم ما يحتاجه من الإحاطة بظروف المرحلة والمجتمع والعلاقة مع أهل العلم والاطلاع على المصنفات العلميةوزيار ة المكتبات والحواضر العلمية المتاحة.